منها على جانبي الفرات وفي الجزيرة وبعض كبدوكية وكيليكية وعلى الاخص في سوريا فعقدت صلحاً مع المصريين على الجزية او شيء منها ورضي المصريون بذلك

والذي اظنهُ ايضاً ان ملوك مصر لذلك الحين كانوا اصلاً من شبه جزيرة العرب من بلاد بنط بلاد الآلمة وبلاد مطلع الشمس ولكنهم كانوا قد استقلوا في مصر عن اوطانهم الاصلية وتلبسوا بالري والعوائد والعبادات على ما كان عليهِ لونها وشكلها في مصر وتركوا من ازيائهم وعوائدهم وعباداتهم التي كانوا عليها حينما هاجروا من العربية إلى العدوة الثانية من البحر الاحمر واخذوا ينظرون الآن الى الغزاة الذين اجتاحوا عليهم بلادهم كما ينظرون المصريون اليوم « او كما كانوا ينظرون ايام الفاطميين » الى العراقيين مثلاً او الى اهل عمان وحضرموت او الى اهل نجران ووادي دوار ولاسيما اذا كانوا من القرامطة او من الاباضيين

جبر ضومط

كلام في العبقرية

حقيقتها

العبقرية وفي الفرنسوية (Génie) والانكليزية (Genius) شيء طالما حارت العقول في تعريفهِ وتحديدهِ ونسبة الافراد والجماعات اليهِ وطالما تساءل الناظرون الى طبائع البشر والمحققون في نظام الطبيعة والكون عن حكمة منع العناية التي حبت نفراً من الناس بالمواهب الخارقة فتارة يقلدون سيفاً يدوخون بهِ دول الارض وطوراً قلماً يرشد الانسانية الضالة. وطالما وقف عامة الناس وعلماؤهم وقفة الذهول حيال تلك الآية الباهرة يحاولون عبثاً فهم حقيقة العقول وسبب ارتقاء النادر منها الى درجة تدني الانسان من الآلمة وتقسم للبعض القليل ان يقود الكل الكثير على ممر القرون بحيث لم يخلُ جيل واحد من تلك الانوار الربانية التي يبعث بها الى العالم في اشخاص اهل العبقرية . وقد انبرى في كل جيل عالم او فيلسوف يعدد العبقريين من اهل زمانهِ وما سبقهُ كما فعل «جورو لوموكرداتو» فانهُ عدد اثني عشر عبقرياً لم يخرج للعالم غيرهم من اول الخليقة الى آخر القرن السادس عشر . وكان آخر عهدنا بمثل هذا الاحصاء سؤال القتهُ احدى مجلات

الغرب على قرائها عن اعظم اعاظم العبقريين منذ بداية العالم الى عهدنا هذا فعدد كل من عدد . وقد دوّن الكتاب والفلاسفة في العبقرية كتباً كثيرة وهذا كلهُ راجع الى حيرتهم وذهولهم حيال مظاهر الطبيعة الخارقة التي تبدو في نفوس بعض الرجال والامم ولان آثار العبقريين في العالم لا يمكن حصرها او تقديرها لكثرتها اوجلالها . بل ان العبقريين هم احاجيّ الورى وحيرة العلماء . ولم تقصر العبقرية على امة او جيل او جنس او طبقة وترى العبقري يخطّ لذاتهِ سبيلاً يقودهُ الى الفوز والتفوق من غير ان يشعر بذلك او يستعدّ استعداداً خاصًّا لهُ كأن اداة ميكانيكية تدفعها الى السير قوة خفية هي النار المقدسة التي يشعر بها العبقري منذ نعومة اظفارهِ نار ظاهرة لا تخبو وقودها الآمال اليقظة والآلام المبرحة

وقد خلط نفر من الكتّاب العبقرية بالنبوغ وهما خلتان متباينتان فنبوغ الرجل او الشيء خروجهُ وظهورهُ ويقال نبغ في العلم وفي كل صناعة اذا اجاد والنابغة الرجل العظيم الشان والكلمة النابغة هي التي ظهرت فصاحتها وعليهِ قيل « الحمد لله الذي انعم عليّ النعم السوابغ والهمني الكلم النوابغ » . وليس في هذا كلهِ من المعنى الذي نرمي اليهِ بشيء وغاية القول ان كلة النبوغ تقابل كلة Talent في اللغات الغربية وهو الحصول على ملكة خاصة في امر من الامور او موهبة . اما العبقرية فنسبةً الى عبقر وهو اسم موضع زعم العرب انهُ كثير الجن ومنهُ قول لبيد « كهول وشبان كجنة عبقر » ثم نسب العرب اليهِ كل شيء تعجبوا من حذقهِ او جودة صنعتهِ وقوتهِ فقالوا عبقري . والعبقري الكامل من كل شيء والسيد والذي ليس فوقهُ شيء والقوي والشديد وقالوا ظلم عبقري اي لا يطاق لتفنن الظالم في ضروبهِ . وكلة « جنّي » الفرنسوية ترجع لا شك الى عادُدّت اليهِ كلة العرب من نسبة كل شيء يعجب من حذقهِ او جودة صنعتهِ وقوتهِ الى الجن اي الى قوة غيرقوة البشر . اما نحن في الشرق عامة وفي مصر خاصة فجهلنا بالعبقرية اكثر من جهل غيرنا بها لان الشرق قليل تقدير الرجال والاعمال ولان الفطرة الصوفية المتمكنة من نفوسنا صرفت اذهاننا في كثير من الشؤون الى مالا يجدي فلم يقم فينا من يحص العقل البشري بالبحث والفحص بل اكتفينا

بنسبة الاعمال الخارقة الى الجنون تارة والى الالهام الالهي او الولاية والقداسة تارة اخرى ولم يخطر ببالنا ان مظاهر العقل الانساني امور يمكن تعليلها وتفسيرها بالعلوم الحقة التي تحتمل البحث والمناقشة

اضف الى هذا كلهِ ان جهل بعض كتّاب اللغة العربية المعاصرين أحلّ كلمة النبوغ محل العبقرية مع ما بين الاثنتين من التفرقة . وقد ورد ذكر العبقرية في الحديث الشريف اي منذ الف وثلاثمائة سنة فوصف بها الامام علي . كذلك جاءت في كثير مما دونهُ علماء العرب وادباؤهم . من ذلك ما جاء في ارشاد الساري الى شرح البخاري للقسطلاني جزء اول. ثم ما ورد في مقامات الحريري في شرح هذا اللفظ شرحاً وافياً . اما تعريف العبقرية فقد تواتر على الالسن وفي كتب العلماء على صور شتى سآتي عليها بعد شرح العبقرية شرحاً وافياً وتفسيرها تفسيراً كاملاً . وللقارىء ان يستنتج وحدانية فكرة العبقرية من تشابه صور الفنون

اجمع الكل على ان لا بد لبلوغ الانسان النمط الاعلى من الكمال الفكري او الشعري او الحربي او السياسي او الفني من علاقة بالجن لينتج ما هو فوق طاقة البشر وتحت حول الارباب. واظهر ما تكون تلك الفكرة عند العرب فكان مذهبهم ان لكل شاعر اي لكل عبقري شيطاناً يلقنهُ الشعر وهاك قول واحد منهم

اني وان كنت صغير السنّ وكان في العين نبوٌ عني
فان شيطاني امير الجن يذهب بي في الشعر كل فن

وقال حسان بن ثابت

ولي صاحب من الشيصبان فطورا اقول وطورا هوه

وقال ابو نجم

اني وكل شاعر من البشر شيطانهُ انثى وشيطاني ذكر

وقد شاع عند العرب اطلاق العبقرية على الشعراء اي اصحاب مواهب الخيال لذا قصروا علاقة الجن بالانسان على موهبة الشعر دون سواها مع ان العبقرية ليست قاصرة على موهبة او فن او صنعة دون اخرى . فقد يكون المحارب عبقرياً والحائك عبقرياً فلزم الاعتراف بوجودها في كل احوال ارتفاع قوى النفس وبلوغها ما هو فوق العادة

خلق الناس درجات بعضهم فوق بعض . وليس المقصود بذلك درجات الحياة المادية كشرف المولد واتساع الثروة انما يقصد به الدرجات النفسية . والناس انما يتفاضلون بصفات النفوس والمواهب العقلية وكل شيء مادي تابع لتلك الصفات وثمرة من ثمار المواهب . وغير خفي ان العبقرية هي اسمى تلك الدرجات المعنوية وهي المثال الاسمى ويتلوها النبوغ ويتلو النبوغ التحلي بموهبة من المواهب الفكرية . غير ان الفرق بين العبقرية والنبوغ جلي . فالعبقرية صنعة الطبيعة في الانسان والعبقري انما هو عبقري رغم ارادته بلا تصنع وهو يهيأ بفطرته للتأهب لما اختارته له العناية . اما النبوغ فقد يكون فيه نصيب وافر من عمل الانسان وقد يوجد موسيقي نابغ وشاعر نابغ ولكن كلا منهما قد يكون واصلاً اسحاره بآصاله وقد طوى السنين تلو السنين لبلوغ تلك الدرجة المحمودة . أما الموسيقي العبقري والشاعر العبقري فيفعلان بالنفوس فعلاً لا يمكن وصفه بانه طرب او تحمس انما هو فعل روحاني يدرك معناه ويعرف قدره بادراك اثره فيمن وقع عليهم . الم يأتنا حديث العبقريين الذين سنوا الشرائع والذين سيطروا على العقل البشري اجيالاً طوالاً كسقراط وارسطو وافلاطون ؟

هذا بعض ما يمكن قوله للتفرقة بين العبقرية والنبوغ . ويزداد التفريق وضوحاً اذا ضربنا لذلك مثالاً فنقول : كان اوغست كونت عبقرياً وكان سبنسر نابغاً لان الاول وضع اساس الفلسفة الحديثة اذ هو الذي قيد علوم البشر ودون معارفهم وكوّن من المجموع علم العلوم وهي الفلسفة الحسية والوضعية . اما سبنسر فقد نسج على منواله وجلا غامضه واذاع مبادئه بوصف كونها فلسفة للعالم وهذا لا يمنع ان يكون سبنسر عبقرياً في وسطه . كان ابن سينا عبقرياً وكان ابن رشد نابغاً لان حياة الاول واطواره وسعة علمه وسرعة المامه بالمعارف وتنوع مواهبه ومجموع مبادئه تجعل له شخصية ظاهرة مستقلة اما الثاني مع معرفة العالم قدره وتفوقه في شرح فلسفة ارسطو فلم يكن الا من اعيان الحكمة لا رؤسائها . كان نابليون بونابرت عبقرياً وكان قواده حيمهم امثال هوش وكليبر وناي نوابغ . كان جان جاك روسو عبقرياً وكان فولتير نابغاً . كان غيتا عبقرياً وولدك روسو نابغاً . كان وشنطون عبقرياً وابرهيم لنكن نابغاً كان عمر بن الخطاب عبقرياً

وابو بكر نابغاً . وقد ذكرت هذه الامثال القليلة للاستشهاد بها وليسهل ادراك المبادىء التي سيأتي شرحها

انواع العبقرية

العبقرية انواع منها العبقرية القولية والعبقرية الفعلية وتتبعها الفنية والخلقية. فالعبقرية القولية هي التي لها علاقة بمواهب القول وهي الصناعات الثلاث الخطابة والشعر والكتابة . والعبقرية الفعلية خاصة بالافعال الجليلة ومجالها العلم وفيهِ ظهر امثال دارون . والاكتشاف وفيهِ ظهر امثال كولمبس وبيري . والحرب وفيها ظهر الاسكندر المكدوني. وسياسة الامم وفيها ظهر امثال بطرس الكبير ومحمد علي. وتتبعها العبقرية الفنية وهي تشمل زعماء الفنون الجميلة كالنقش والموسيقى والعمارة والتمثيل . وسيد عبقري هذه الدائرة ليوناردو دافنشي مصور الجوكوندا وصانع تمثال مفورزا ومشيد قصور ميلان ومتقن التوقيع على الناي ومخترع اول آلة للطيران والضارب في كل فن بسهم . ثم عبقرية الخُلق وهي التي يمتاز اصحابها بصفات جليلة ترفعهم الى ذرى المجد فقد كان حاتم طي عبقرياً بكرمهِ والسموأل عبقرياً بوفائهِ وفرنكلن الامريكي عبقرياً باخلاقهِ وايوب النبي عبقرياً بصبرهِ . ويحسب بعض المتطرفين في النظر ان كبار المتمولين في امريكا عبقريون في جمع الاموال وكنزها لانهم يحسبون ان جمع مثل تلك الثروة يستلزم صفات سامية كصفة الاقتصاد والاحتمال وانتهاز الفرص والمجازفة اما نحن فلا نعدّ منهم عبقريًّا الاَّ واحداً وهو اندراوس كارنجي لانهُ نشأ منذ عهد قريب يقسم ثروتهُ بين الامم والمدن . وقدر العبقري يقاس بما ينفع بهِ اهل جنسهِ اما اصحاب الاموال الذين يكنزون ولا ينفقون فعبقريتهم ممكوسة لانها ضارة على العموم ونفعها مقصور عليهم

ظهور العبقرية

ليست العبقرية مقصورة على قوم او جيل او اسرة او جنس ففي جميع الاقوام والاجيال والاسر والاجناس عبقريون تركوا في بيئاتهم المتباينة آثاراً خالدة وقد يكون زعيم قبيلة بربرية عبقريًّا لحرصهِ على كيان دولتهِ . وقد يأتي في جيل عبقري فرد او عدة من نوعهِ ولا يخرج للعالم بعد ذلك من يطاولهم امثال سقراط وافلاطون فان ارسطو لا يزال معروفاً بانهُ صاحب العقل الاول زعموا انهم هدموا

خلسفتهُ ولكن فلاسفتهم يستقون من نبعهِ. وادعوا ان فلسفة اليونان غدت مهملة وهم يشرفون بالانتساب اليها . وهذا يرجع الى ثلاثة عقول من الطراز الاعلى سمت بصفات الهية واحاطت بكل شيء والقت على العالم الانساني اشعة من نورها الخالد ولن تزال تلك الاسماء تتلوها ألسن الامم وتنقل الى جميع اللغات ما دام العقل البشري قادراً على الفهم والادراك

كذلك ليست العبقرية مقصورة على الرجال دون النساء ولكن ربات الخدور العبقريات نادرات وقد تمتاز احداهنَّ فتفوق الرجال. كانت الخنساء عبقرية بشعرها ورثائها لاخيها . وكانت نيتوكريس احدى ملكات مصر عبقرية في سياسة الدول واخبارها مشهورة . وكانت جان دارك الفرنساوية عبقرية في حب وطنها وقيادة الجند فانقذت بلادها وهي قبل رسالتها راعية. ومن معاصراتنا تعد عبقرية مدام كوري مكتشفة جوهر الراديوم وهي ذات النصيب الاوفر في اكتشافهِ وهي اليوم استاذ الكيمياء بمحظيرة السوربون بباريس

وجدير بنا ان نعترف بذنوبنا نحو المرأة فقد اهملنا تهذيبها وجعلنا منها كائناً يعيش مناوبنا ولنا وقضينا الاجيال الطوال في اقناعها بانها اقل منا حولاً وطولاً واقصر باعاً واكثر من اكلنا قعوداً عن جلائل الاعمال نخت نارها وانطفأت شعلتها واصبحت عبقرية المرأة من حسنات الصدفة . على ان التاريخ كما ذكرت يحفظ ذكر كثيرات من فضليات السيدات اللواتي سدن بفضلهن ومواهبهن. واذا نظرنا اليوم في شعوب اوربا وامريكا حيث بلغ تعليم المرأة شأواً عظيماً رأينا نساء كالسيدة بانكهرست زعيمة حرائر الانجليزات المطالبات بحقوق النساء وقد نلنها فان ما لقيتهُ هذه المرأة الفاضلة من الشدائد وما تحملتهُ من المتاعب في سبيل خدمة مبدئها واقتدارها على لم شمت بنات جنسها والمثابرة على الجهاد كلها صفات جديرة بالاعتراف لها بالعبقرية. والسيدة بلادفسكي الروسية التي قضت نصف ايامها في امريكا حيث الفت كتاباً جليلاً حوى معلومات البشر وقضت النصف الآخر بين فقراء الهند. والسيدة ادي وهي صاحبة الطريقة الجديدة المعروفة باسم « العلم المسيحي » يتبعها نحو مليون من اهل الولايات المتحدة

(ستأتي البقية) محمد لطفي جمعه

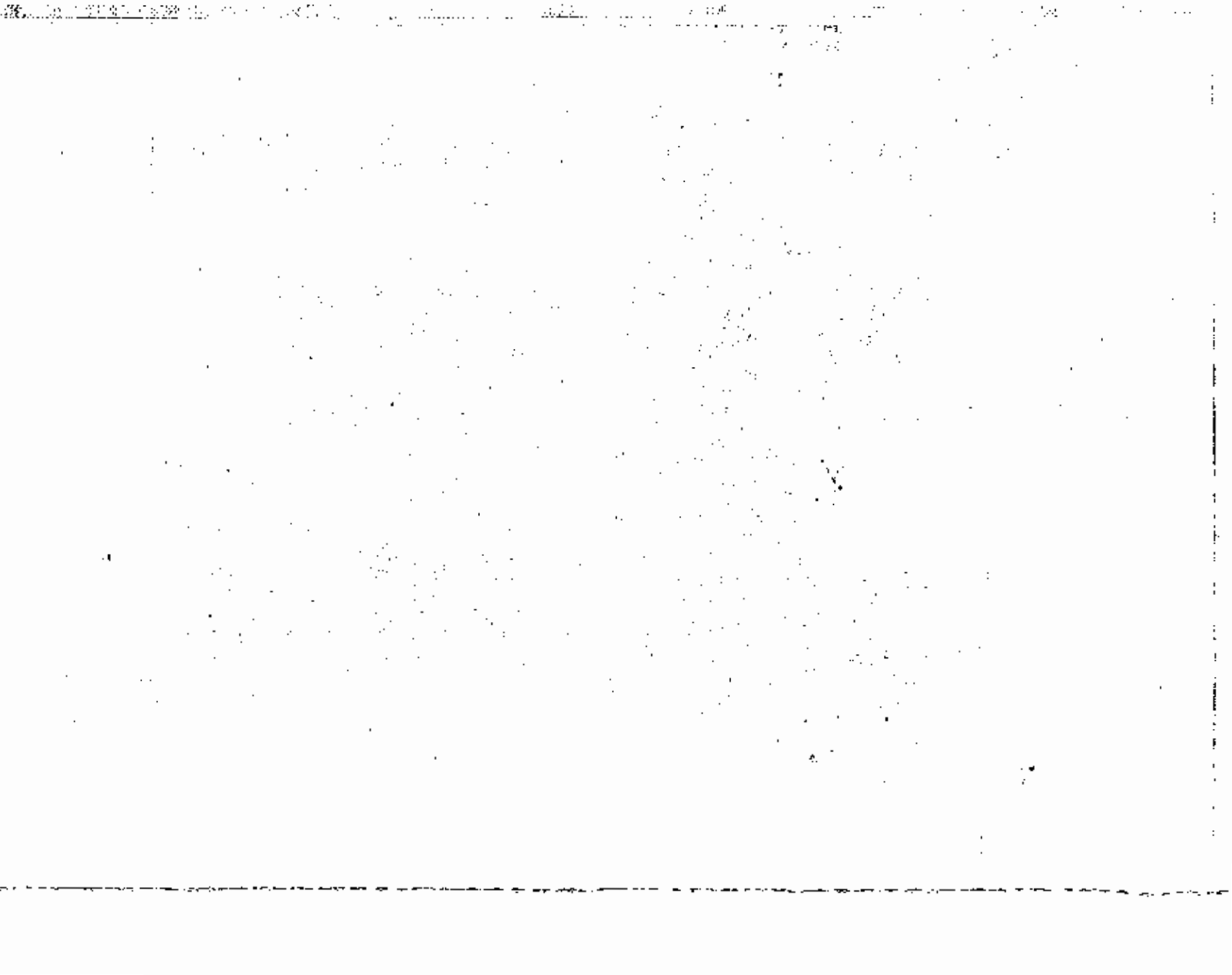

غاندهي الزعيم الهندي وقت اقامة دروسه

غاندهي وهو في جنوب افريقية

مقتطف مارس ١٩٢٢

امام الصفحة ٢٤٩